



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات  
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة | 31 تشرين الأول / أكتوبر، 2023

# تغطية الإعلام الغربي لحرب إسرائيل على غزة 2023

## الحرب في عصر ما بعد الحقيقة

باسم الطويسي

باسم الطويسي

رئيس برنامج الصحافة في معهد الدوحة للدراسات العليا. حاصل على الدكتوراه في الدراسات الإعلامية، وعمل عميدا لمعهد الإعلام الأردني 2013-2019، ومديرا لمركز الاستشارات ودراسات التنمية في جامعة الحسين بن طلال، ورئيسا لمجلس إدارة مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الأردنية.

نشر عددا من الكتب في الإعلام والشؤون السياسية، ونحو 24 بحثا في المجلات العملية، وطور عددا من الأدلة المهنية في مجالات الإعلام والصحافة، وقاد عددا من المشاريع البحثية. كما كتب الدكتور الطويسي مقالا سياسياً يومياً لصحيفة الغد خلال الفترة 2004-2019، وكتب للعديد من الصحف العربية.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2023

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: + 974 40354111

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

# المحتويات

1	أولاً: إعادة تعريف معايير الصحافة الإخبارية
4	ثانياً: التأطير الجديد
4	1. التأطير الجديد للإرهاب
5	2. إطار نزع الإنسانية عن الفلسطينيين
6	3. إطار الدفاع عن النفس
6	4. تأطير نزع السياق
7	ثالثاً: الحرب في عصر ما بعد الحقيقة

تلقت وسائل الإعلام الغربية الأخبار القادمة من الشرق الأوسط يوم السابع من تشرين الأول / أكتوبر 2023 بانفعال غير مسبوق؛ إذ لم تكن في المجمل جزءاً محايداً من التغطية الإعلامية في الأيام الأولى من عملية «طوفان الأقصى» التي نفذتها حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، بل كانت تتسق مع الرواية الإسرائيلية التي رددتها مسؤولون غربيون؛ لذا جاء سلوكها في هذه المرة صادماً وخارجاً عن معايير الصحافة الإخبارية المهنية والأخلاقية على نحو لافت، على الرغم من وجود تاريخ طويل لها من الانحياز إلى السردية الإسرائيلية.

صُدمت إسرائيل بهذه العملية النوعية والجريئة التي قُتل فيها نحو 1200 شخص، بينهم عددٌ من المدنيين ومزدوجي الجنسية والأجانب، وشملت أسر عددٍ من الجنود الإسرائيليين والمدنيين، وتبعها إعلان إسرائيل حرباً على قطاع غزة بالقصف الجوي المصحوب بحصار مشدد؛ مُنع بموجبه وصول الغذاء والماء والدواء والوقود إلى سكان القطاع، الذين يعانون أصلاً من حصار ممتد على نحو 16 عاماً. ووصل عدد الشهداء الفلسطينيين خلال العشرين يوماً الأولى إلى نحو 7300 شهيد، بينهم 3500 طفل؛ أي إن إسرائيل تقتل خلال هذه الحرب 6 أطفال كل ساعة، ودمرت حتى الآن نحو نصف البنية التحتية في قطاع غزة.

تقدم هذه الورقة قراءة أولية لتغطية الإعلام الغربي لهذه الحرب في الأسابيع الثلاثة الأولى، فتناقش مجموعة من الأدلة التي تظهر أن هذا الإعلام يقدم سلوكاً إعلامياً جديداً يضعه فيما يسمى «إعلام عصر ما بعد الحقيقة»، وهو المفهوم الذي دُشن في الأدبيات السياسية والإعلامية منذ عام 2016؛ أي العام ذاته الذي وُصف بـ «عام الأكاذيب»، حيث تقود الأكاذيب والانفعالات والمعتقدات الاتجاه السائد في الإعلام، بعيداً عن الحقائق والوقائع.

## أولاً: إعادة تعريف معايير الصحافة الإخبارية

ترصد هذه القراءة الأولية الملامح الأساسية لتغطية وسائل الإعلام الغربية، وتحديدًا الأميركية والبريطانية، لهذه الحرب، وفق الملامح التي اتسمت بها هذه التغطية، وتشمل:

1. الإغراق الإعلامي في تغطية أحادية الاتجاه تعمل على تصنيع الإجماع أو الاتفاق على رواية واحدة؛ لذا غاب التوازن في المصادر، مع أن بعض الوسائل بدأت منذ الأسبوع الثاني من الحرب بإتاحة المجال أمام أصوات مؤيدة للرواية الفلسطينية، ولو على نحو رمزي، مع استمرار غياب التوازن الفعلي.
2. تجاوز التغطية الإعلامية في وسائل إعلام رئيسة معايير أساسية في الصحافة الإخبارية، مثل التحقق، ووقوعها في فخ الأخبار الزائفة والتضليل، وفي فوضى تعريف الأحداث؛ مثل ما الذي يحدث؟ أهو صراع أم حرب أم غزو أم هجوم؟ ومن أطراف الحرب؟
3. التحيز العميق إلى الرواية الإسرائيلية، الذي وصل إلى حدّ تبني وسائل إعلام رئيسة هذه الرواية.
4. التأطير الإعلامي لطرفي الصراع، وإعادة إنتاج الأطر التقليدية، وإنتاج أطر جديدة.

وقعت وسائل إعلام غربية رئيسة Mainstream Media في فخ التوجيه السياسي منذ اللحظة الأولى لبناء الرواية الإخبارية، فقد تبنت الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا الغربية الرواية الإسرائيلية التي قدمها رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، ورددتها مسؤولون غربيون من دون أدنى تفعيل لقواعد التحقق الإخباري وفحص الروايات والمزاعم أو الصور والفيديوهات، ومن دون وجود صوت الطرف الآخر أو الحد الأدنى من تمثيله، وتحديدًا في الأيام الأولى، وتصوير الصراع خارج سياق حقائق التاريخ والاحتلال؛ ما جعل تلك الوسائل تتحول

فجأة إلى منصات دعائية للآلة العسكرية الإسرائيلية. وشمل هذا السلوك وسائل الإعلام التي طالما وُصفت بأنها أكثر ليبرالية، فضلاً عن تلك المحافظة. وتجاوزت هذه الظاهرة ما بات يُعرف بـ «الصحافة المدمجة بالجيش» Embedded Journalism، مثلما حدث في حربي أفغانستان والعراق؛ وهي ممارسة يكون فيها الصحفيون تحت سيطرة الجيش خلال نزاع مسلح. ويجري إلحاق المراسلين والمصورين المدمجين بوحدة عسكرية محددة، ويُسمح لهم بمرافقة القوات إلى مناطق القتال، ونقل رواية طرفٍ ما للأحداث؛ أي إنهم يخطون منظوراً واحداً للحرب<sup>1</sup>. فقد بُنيت شبكات إخبارية كبرى سلسلة تقارير يروي فيها الجنود والضباط الإسرائيليون وحدهم تفاصيل ما حدث<sup>2</sup>.

اعتمد الإعلام الغربي في تغطية الحرب على غزة أسلوب «تصنيع الموافقة الجماعية» Manufacturing Consent الذي وضعه والتر ليبمان Walter Lippmann، وأعاد تطويره لاحقاً إدوارد هيرمان ونوعم تشومسكي، ومفاده أن ظاهرة الرأي العام الديمقراطي المعاصر مجرد وهم؛ فوسائل الإعلام تمدّ الجمهور بالمعلومات والحقائق كما يريد، وتصنع تعددية هشة لإضفاء الشرعية عليها. قضى العالم الديمقراطي عقوداً طويلة يقاوم هذه الأطروحة ويحاول نفيها، بينما تعيد التغطية الإعلامية الغربية لحرب غزة هذه الأطروحة إلى الواجهة من جديد وبوضوح لا يحتاج إلى كثير من الأدلة<sup>3</sup>.

حينما تزداد حدة الأزمات وتقع الحروب، يبدو «تصنيع الموافقة» مفضوفاً؛ لذا اخترع سياسيون غربيون عبارة تقول: «إن الحقيقة هي الضحية الأولى للحروب»، والتي تبدو اليوم عبارة مبتذلة في أجواء تغطية أخبار الحرب على غزة في «عصر ما بعد الحقيقة» وبيئة الشبكات الاجتماعية والذكاء الاصطناعي.

في اليومين الأول والثاني من الحرب، كانت الأخبار تتحدث عن نحو 200 - 300 قتيل إسرائيلي، بينما تبنت محطة بي بي سي الرواية الإسرائيلية، فقالت: «لقد أعدموا مدنيين إسرائيليين بدم بارد في منازلهم، ثم استمروا في جرّ المدنيين والعسكريين الإسرائيليين والنساء والأطفال والمسنيين والمعاقين إلى غزة»<sup>4</sup>. واقتصرت تغطية المحطة - التي عُرُفت بأنها الأقل تحيزاً في تغطياتها السابقة - في أول يومين على تصريح واحد فقط لأحد قادة حماس، مفاده أنهم «يتلقون دعماً من إيران»، وبقيت تصف المقاتلين الفلسطينيين بـ «المسلحين». وذهبت شبكة سي إن إن في تغطية الأيام الأولى من الحرب إلى تبني الرواية الإسرائيلية أيضاً مع ظهور أصوات فلسطينية محدودة؛ ففي الأيام الثلاثة الأولى نقلت الشبكة مرة واحدة تصريحات للقيادي في حماس محمد ضيف. وفي هذه الفترة المبكرة، كان الموقع الإلكتروني للشبكة ينشر ما بين صورتين إلى ثلاث صور من الجانب الفلسطيني مقابل عشر صور أو فيديوهات من الجانب الإسرائيلي. وبقيت الشبكة تصف المقاتلين الفلسطينيين بـ «الإرهابيين»، وشبّتهم بتنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، فضلاً عن تقديم رواية مُضَلَّلة عن محاولة حماس استخدام سلاح كيميائي في هجومها.

في الأيام الأولى للحرب، استسلمت وسائل إعلام كبرى لسيل الادّعاءات الكاذبة والأخبار المزيفة التي انتشرت على الشبكات الاجتماعية؛ أي افتقدت القاعدة الأولى التي يتعلمها طلبة الصحافة، والتي تقول: «تحقق مرتين قبل النشر». وشمل سيل الأخبار الزائفة الادّعاء الشهير بأن مقاتلي حماس قطعوا رؤوس 40 طفلاً إسرائيلياً، وهو الخبر الصادم الذي ظهر في عناوين الصفحات الأولى في صحف في لندن ونيويورك

1 Ramesh Chandra Pathak, "Embedded Journalism in 21st Century: Torsion and Distortion of War News," *IJARIE*, vol. 3, no. 1 (2017).

2 "Children Found 'Butchered' in Israeli kibbutz, IDF Says, as Horror of Hamas' Attacks Near Border Begins to Emerge," *CNN*, 13/10/2023, accessed on 30/10/2023, at: <https://n9.cl/ejsio>

3 Edward S. Herman & Noam Chomsky, *Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media* (Toronto: Pantheon Books, 1988).

4 "Israel Faces 'Long, Difficult War' After Hamas Attack from Gaza," *BBC news*, 8/10/2023, accessed on 30/10/2023, at: <https://n9.cl/mupes>

وغيرهما، وردده الرئيس الأميركي جوزيف بايدن. وما لبثت أن تهاوت هذه الادعاءات سريعاً. بعدها سحبت العديد من وسائل الإعلام هذا الخبر من مواقعها الإلكترونية، وعاد المتحدث باسم البيت الأبيض للقول: «لا الرئيس بايدن ولا أي مسؤول أميركي رأى أي صور أو تؤكد من صحة تقارير بشأن ذلك»<sup>5</sup>. وأظهرت وكالة أسوشيتد برس صورة لامرأة إسرائيلية مسنة مختطفة إلى غزة على عربة «جولف» من قبل مسلحي حماس، وامرأة أخرى محشورة بين مقاتلين على دراجة نارية، وصوراً لجثث وُصفت بأنها لإسرائيليين نُقلوا إلى غزة، وسحبوا في الشوارع.

شكّل الادّعاء بقيام المقاتلين الفلسطينيين بقتل الأطفال والمراهقين واختطاف معاقين ومسنين محور التغطية الإعلامية الغربية في الأسبوع الأول من الحرب، بينما بقي القصف الإسرائيلي على قطاع غزة شبه غائب عن العديد من وسائل الإعلام الغربية. ونشرت هذه الوسائل شبكة من المراسلين في إسرائيل، دون وجود يُذكر لأي مراسل لمعظم هذه الوسائل في غزة؛ ما بنى صورةً للضحايا الإسرائيليين لدى الرأي العام الغربي، وغيّب نسبياً استهداف المدنيين والضحايا الفلسطينيين.

بدأت المواقف السياسية تشهد بعض التغيير المحدود في منتصف الأسبوع الثاني من الحرب، وأخذت وسائل الإعلام الغربية تفتح مجالاً محدوداً لروايات أخرى غير إسرائيلية، وتحديدًا بعد القصف الجوي للمستشفى الأهلي العربي (المعمداني) مساء يوم 17 تشرين الأول / أكتوبر، الذي راح ضحيته 471 فلسطينياً. وبدأت تظهر أصوات تلفت الانتباه إلى الجرائم التي ترتكبها إسرائيل في قطاع غزة. والمفارقة أن وسائل رئيسة أخذت تردد مقولة الدعاية العسكرية الإسرائيلية بعد الهجوم، التي تحدثت عن هجوم وأكاذيب تمارسها حماس، وتصور أن الأخيرة تملك آلة إعلامية قوية تتلاعب بالرأي العام العالمي<sup>6</sup>. وجاء ذلك في محاولة مبكرة لنفي جريمة قصف المستشفى المعمداني، وتحميل المسؤولية للمقاومة الفلسطينية في عملية دعائية بدأت في وسائل الإعلام من خلال فيديو تم تفسيره على أنه يصور عملية إطلاق صاروخ فاشلة؛ فقد نقلت تأكيد الجيش الإسرائيلي أن الانفجار كان نتيجة إطلاق صاروخي فاشل من حركة الجهاد الإسلامي. وفي اليوم التالي، تبنت الإدارة الأميركية الرواية الإسرائيلية، ورددتها وسائل الإعلام الأميركية أيضًا من دون أي دليل واقعي، حيث عدّلت صحف **نيويورك تايمز** و**الغارديان** و**التايمز** تقاريرها الإخبارية بعد ظهور البيان العسكري الإسرائيلي مباشرة. ومن المفارقات أن هيئة الإذاعة البريطانية وصحيفة **التايمز** اعتذرتا مباشرة، بعد البيان العسكري الإسرائيلي، عن تغطيتهما المبكرة اللتين اعتمدتا فيها على مصادر الدفاع المدني الفلسطيني، لتعتمدا لاحقاً على الرواية الإسرائيلية من دون أي تحقق من صدقيتها<sup>7</sup>.

لكن صحيفة **نيويورك تايمز** نشرت في 24 تشرين الأول / أكتوبر تحقيقًا شاركت فيه مجموعة من مراسليها، وأشارت إلى أن الفيديو الذي استُخدم لإثبات الرواية الإسرائيلية لا يسلط الضوء على ما حدث. وقالت الصحيفة إن شريط فيديو يظهر مقذوفاً يخترق سماء غزة المظلمة وينفجر في الهواء لاحقاً على بعد نحو ميلين، ثم يسمع صوت انفجار على الأرض. وأوضحت أن مقطع الفيديو الذي تم الاستشهاد به مأخوذ من بثّ مباشر لكاميرا تلفزيون **الجزيرة** في تلك الليلة ويظهر شيئاً آخر، وأن الصاروخ الذي شوهد في الفيديو ليس على الأرجح سبب ما حلّ بالمستشفى<sup>8</sup>. كما ذهب تحقيق آخر أجراه فريق صحيفة **لوموند** الفرنسية إلى أن رواية

5 “White House Walks Back Biden’s Claim he Saw children Beheaded by Hamas,” *Aljazeera*, 12/10/2023, accessed on 30/10/2023, at: <https://n9.cl/r0rek>

6 “The Battle for Public Opinion Over Israel War,” *CNN*, accessed on 30/10/2023, at: <https://n9.cl/lp8zq>

7 Oliver Darcy, “The New York Times Walks Back Flawed Gaza Hospital Coverage, but other Media Outlets Remain Silent. CNN Business,” *CNN*, 26/10/2023, accessed on 31/10/2023, at: <https://n9.cl/r0bqh>

8 Aric Toler et al., “A Close Look at Some Key Evidence in the Gaza Hospital Blast,” *New York Times*, 24/10/2023, accessed on 31/10/2023, at: <https://n9.cl/want5>

الاحتلال بأن الصواريخ الفلسطينية تسببت في انفجار المستشفى غير صحيحة؛ إذ تمكن فريق التحقيق التابع للصحيفة من التأكد من أن القذيفة التي ضربت المستشفى انطلقت من إسرائيل<sup>9</sup>.

## ثانيًا: التأطير الجديد

تتجاوز مسألة التأطير الإعلامي التحيز المباشر في الأخبار إلى دور وسائل الإعلام بإعادة بناء الواقع ومنح الأحداث معنًى خاصًا؛ أي التأثير طويل المدى في الاتجاهات والمعتقدات والقيم. والتأطير يشير ببساطة إلى عملية إعلامية تقوم على «الانتقاء والتأكيد» باستخدام أساليب عديدة. وقد نُشرت عشرات البحوث التي تناولت تأطير الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني بوساطة الإعلام الغربي، من خلال الكلمات والجمل والأوصاف ونبرة الصوت التي تستخدمها التغطية وغيرها من الأساليب التي تترك أثرًا عميقًا وبعيد المدى. وقد اتفقت معظم هذه الدراسات على العديد من الأطر التي اعتمدها الإعلام الغربي في تغطيته لحرب إسرائيل على غزة، منها أطر تاريخية، وقد تذهب أكثر عمقًا وتستحدث أطرًا جديدة. ويشير الرصد الأولي لتغطية قنوات إخبارية أميركية وبريطانية إلى أبرز هذه الأطر.

### 1. التأطير الجديد للإرهاب

وصف القادة الإسرائيليون منذ اللحظة الأولى عملية «طوفان الأقصى» بالعمل الإرهابي، وردّد ذلك معظم الزعماء الغربيين، ومعظم وسائل الإعلام الغربية الرئيسية. انطوى تصوير المقاتلين الفلسطينيين بعد هذه العملية على مصفوفة من المفاهيم والكلمات والأوصاف والأدوار التي تغذي أطروحة الإرهاب، وتطورت هذه المصفوفة الدعائية في أكثر من محطة: **الأولى**، وصف ما جرى بأنه «هولوكوست جديدة» في مخاطبة لحساسية الذاكرة الغربية ضد النازية والهولوكوست. **الثانية**، طوّر القادة الإسرائيليون والإعلام الإسرائيلي صورة أخرى، فربطوا صورة حركة حماس ومقاتليها بالقاعدة قبيل زيارة بايدن إلى تل أبيب في 18 تشرين الأول/أكتوبر لتذكير الشعب الأميركي بذكريات أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. وهدفت هذه المقارنة إلى خلق تعاطف واصطفاف بين المواطنين الأميركيين والإسرائيليين؛ ما يودي بأنهم يواجهون العدو والمخاطر نفسها. **الثالثة**، مع ازدياد حدة القصف على غزة، أخذ القادة الإسرائيليون والغربيون توجيه الخطابين السياسي والإعلامي بهدف ربط حماس بصورة تنظيم «داعش» لتبرير عمليتي القتل والتدمير، واعتبار أن القضاء على حماس يتطلب الأدوات والأساليب التي أثبتت في القضاء على «داعش». وانتقل تأطير الإرهاب الجديد بمستويات متعددة إلى العديد من وسائل الإعلام الغربية وبنسب متفاوتة. ووصفت محطات **سي إن إن** و**فوكس نيوز** المقاتلين الفلسطينيين بالإرهابيين، أما صحيفة **واشنطن بوست** ومحطة **بي بي سي** فوصفتهم بالمتشددين والمسلحين.

يقدم السرد الإعلامي الحرب الحالية على أنها حرب بين حماس وإسرائيل، وليست بين إسرائيل والشعب الفلسطيني المحتل. ويجري تأطير هذا الصراع على أنه معركة بين دولة ديمقراطية وجماعة إرهابية. ويذهب التأطير إلى تقديم حماس باعتبارها جماعة إرهابية، لا تمثل القضية الفلسطينية أو شعبها، وتصوير حماس كأنها اختطفت غزة وفرضت إرادتها على شعبها.

<sup>9</sup> Liselotte Mas et al., "Gaza Hospital: What Detailed Image Analysis Reveals about Deadly Blast," *Le Monde*, 19/10/2023, accessed on 31/10/2023, at: <https://n9.cl/0u1qq>

## 2. إطار نزع الإنسانية عن الفلسطينيين

كان الفرق كبيراً جداً في الأسبوعين الأولين من الحرب في تغطية وسائل الإعلام الغربية للضحايا المدنيين من الطرفين، بل إن بعض وسائل الإعلام الأميركية والبريطانية تجنب تغطية القصف الإسرائيلي لأيام عديدة في بداية الحرب. وحاول القادة الإسرائيليون والأميركيون دفع الإعلام إلى تصوير الضحايا الفلسطينيين بأنهم أقل إنسانية، وأقل مكانة من الإسرائيليين. ورددت البرامج الحوارية ومقالات الرأي العديد من الأوصاف التي أطلقها سياسيون في وصف ما ارتكبه مقاتلون فلسطينيون في مواجهتهم الأولى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر من قبيل: «الفلسطينيون حيوانات بشرية»، «الإسرائيليون يخوضون حرباً دفاعاً عن قيم الحضارة»، «القضاء على الوحوش»، «يجب أن تقف كل الأمم مع الإنسانية»، «الأعمال البربرية التي ارتكبتها مقاتلو حماس»، «اغتصاب النساء»، «فصل الرؤوس عن الأجساد»، «إحراق أسر وهي تعانق بعضها». بدأت هذه السردية سياسية ثم إعلامية، ووردت هذه الأوصاف على ألسنة رئيس الوزراء الإسرائيلي وقائد الجيش ووزير الخارجية، وكذلك الرئيس الأميركي ووزير الخارجية وغيرهم. لا أحد ينكر أن مدنيين إسرائيليين قتلوا بالفعل في المواجهة الأولى، لكن العديد من الادعاءات قد ثبت عدم صدقيتها أو عدم دقتها، وثمة مبالغات هائلة.

في المقابل، بقيت وسائل إعلام غربية عديدة بعيدة عن تغطية ما وصف بأنها جرائم حرب وتدمير ممنهج لقطاع غزة. فقد مورست رقابة متعددة الأوجه على أي صوت يحاول رؤية المشهد الإنساني في قطاع غزة، أو يحاول الانحراف عن الخط الرسمي للدعم غير المشروط لإسرائيل. كانت هناك حملات قمع للاحتجاجات والتعبير عن التضامن مع الفلسطينيين، وتهديدات باعتقال الأشخاص بسبب رفعهم العلم الفلسطيني، ومحاولات شركات التكنولوجيا الكبرى إزالة المحتوى المؤيد للفلسطينيين أو حظره. كما مارست وسائل إعلام غربية قمع هذه الأصوات في تغطيتها. وتردد أن بعض هذه الوسائل كانت تطلب من ضيوفها، الذين يعتبرون أكثر قرباً إلى وجهة النظر الفلسطينية، إدانة حماس على الهواء في سلوكٍ لم تألفه وسائل الإعلام في البلدان الديمقراطية حتى في أحلك الظروف.

بقيت نشرات هيئة الإذاعة البريطانية تمارس التمييز حتى في وصف الموت، حيث تستخدم وصف «موت» مع الفلسطينيين و«قتل» مع الإسرائيليين. فمثلاً، عندما قال حسام زملط، رئيس البعثة الفلسطينية في لندن، في مقابلة مع محطة بي بي سي، إن سبعة من أفراد عائلته قُتلوا بسبب القنابل الإسرائيلية، كان رد فعل محاورته هو تقديم التعزية بكلمتين، وقولها: «لا يمكنك التعاضى عن قتل المدنيين في إسرائيل»<sup>10</sup>. بمعنى استمرار تصنيف أحد الجانبين على أنه المعتدي والآخر الضحية؛ أو إضفاء الطابع الإنساني على جانب دون الآخر.

إن حدة التعبيرات التي استخدمتها وسائل إعلام غربية مثل «قطع رؤوس الأطفال» الإسرائيلييين، لا تُقارن بمجرد ذكر أرقام القتلى من الأطفال الفلسطينيين مهما بلغ عددهم؛ فهو تأطير يومي تراكمي في محاولة لإضفاء الطابع الإنساني على ضحايا الإسرائيليين ونزع الإنسانية عن ضحايا الفلسطينيين. تفيد الخبرات التاريخية المشابهة أن نزع الإنسانية عادة ما يستخدم للتهيئة للإبادة الجماعية، كما وصفت ذلك «شبكة الإنسانية الجديدة» في افتتاحية رئيسة لها؛ إذ قالت: «تصوير الفلسطينيين على أنهم أقل استحقاقاً لتعاطفنا لأنه يُنظر إليهم على أنهم أقل من مجرد بشر. وعندما تقتبس الصحف من الوزراء الإسرائيليين قولهم إنهم يقتلون 'حيوانات بشرية' - ما يعكس وصف النازيين لليهود بأنهم 'جرذان' قبل المحرقة أو وصف الهوتو للتوتسي في رواندا بأنهم 'صراير' قبل الإبادة الجماعية - يساهم في تجريد الناس من إنسانيتهم، فيجعل قتلهم أسهل»<sup>11</sup>.

بهذا، لا تُرَى الرؤية الإنسانية الفلسطينية؛ لأن الاستعمار والتفوق الأبيض وكراهية الإسلام هي العدسة المهيمنة التي لا تزال تنظر من خلالها الدول والمؤسسات والشعوب ووسائل الإعلام في الغرب إلى العالم.

10 "Stephen Sackur Speaks to the Head of the Palestinian Mission to the UK, Husam Zomlot," *BBC News*, 17/10/2023, accessed on 30/10/2023, at: <https://n9.cl/1hh15>

11 "Media Coverage of Israel and Gaza is Rife with Deadly Double Standards," *The New Humanitarian*, 23/10/2023, accessed on 31/10/2023, at: <https://n9.cl/bjn2qq>



### 3. إطار الدفاع عن النفس

حاولت التغطية الإعلامية لوسائل الإعلام الرئيسية تقديم العمليات العسكرية الإسرائيلية في إطار الدفاع عن النفس مقابل «الإرهاب» الفلسطيني، بل ذهبت إلى اتباع الأطروحات الرسمية الأميركية والبريطانية والإسرائيلية بأن ما تقوم الآلة العسكرية يعدّ ضمن قواعد الحرب ويأتي في إطار الدفاع عن النفس. وهناك محاولة تأطير أخرى في هذا السياق بأن المقاومة الفلسطينية تستخدم المدنيين دروعاً بشرية.

إن الإصرار على «حق» إسرائيل في الدفاع عن نفسها حتى في مواجهة الفظائع التي لا يمكن إنكارها، والتي يعود تاريخها إلى أيام تأسيسها يعكس تصوّراً غريباً مفاده أن الوفيات بين المدنيين العرب تشكل ثمناً مقبولاً لأمن إسرائيل وازدهارها. ويوفر هذا الإطار سردية تبريرية لأي عمل تقوم به إسرائيل، ويبرر الإبادة الجماعية للمدنيين والتهجير القسري، الذي عبر عنه نتنياهو في أول ظهور إعلامي له بعد هجوم حماس، بقوله: «يا سكان غزة: ارحلوا الآن لأننا سنعمل بقوة في كل مكان». كما بقيت وسائل إعلام رئيسية كثيرة، أميركية وبريطانية، تستخدم مفهوم «الإخلاء» بدلاً من المفاهيم المتعارف عليها في أدبيات القانون الدولي مثل «التهجير القسري» و«التطهير العرقي».

### 4. تأطير نزع السياق

تنزع التغطية الإعلامية الغربية للحرب الإسرائيلية على غزة السياق التاريخي عن الأحداث؛ فهي لا تسأل لماذا ذهب رجال المقاومة الفلسطينيون وراء الحدود يوم 7 تشرين الأول/أكتوبر؟ ولا تذكر أن ما جرى هو في سياق مواجهة واقع الاحتلال السائد؛ أي الحق في مقاومة المحتل، وقد تجاهلت التغطية الإعلامية معاناة سكان غزة منذ 16 عاماً بسبب الحصار الإسرائيلي، ولا تذكر جولات المواجهة المتكررة منذ ذلك الوقت، وأرقام الضحايا من الجانب الفلسطيني على مدى السنوات الماضية التي تفوق بعشرات المرات ضحايا الطرف الإسرائيلي، كما تجاهلت آلاف الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية.

يفسّر هذا التناول الغضب الشديد الذي أبداه سياسيون إسرائيليون وغربيون وتبعته وسائل إعلام غربية عندما قال الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، إن هجوم حماس على إسرائيل في 7 تشرين الأول/أكتوبر «لم يأت من فراغ»، وإن الفلسطينيين «عانوا على مدى 56 عاماً من الاحتلال الخانق»<sup>12</sup>. والمفارقة أن دعوة السفير الإسرائيلي في الأمم المتحدة إلى استقالة الأمين العام لاقت اهتماماً وتغطية في بعض وسائل الإعلام الأميركية أكثر من مضامين تصريحه.

يحاول تأطير نزع السياق بناءً واقع جديد يصوّر الأزمات والحروب في السياق الفلسطيني - الإسرائيلي بأنها مجرد حوادث طارئة نتيجة تعديّات الفلسطينيين، وتتجاوز تاريخ الصراع وقضية الاحتلال وحقوق الإنسان والحقوق المدنية، والحقوق الاقتصادية والسياسية، والكرامة الإنسانية، ويقدم سياقاً أكثر ملائمة لتفوق الهيمنة والعنصرية الغربية التقليدية في سياقها الاستعماري.

تعكس تقارير وسائل الإعلام الغربية هذه الحسابات الثقافية؛ فالمطالبة الأحادية الجانب بالإدانة وإضفاء الطابع الفردي والإنساني على المأساة الإسرائيلية توضع جنباً إلى جنب مع تمثيل المأساة الفلسطينية بلغة سلبية تعكس بالفعل جذوراً ثقافية في أداء وسائل الإعلام لا يمكن تجاهلها<sup>13</sup>.

تشير الدراسات حول دور وسائل الإعلام في الصراع العربي - الإسرائيلي إلى أن هذه الوسائل نادراً ما تغطيه على نحو محايد؛ إذ أشارت بحوث التأطير منذ فترة مبكرة أن الأطر الأساسية التي استخدمتها وسائل الإعلام

12 "غوتيريش في عين العاصفة.. الأمم المتحدة الخاضعة التي تريدها إسرائيل"، الجزيرة نت، 2023/10/30، شوهد في 2023/10/31، في: <https://tinyurl.com/263mcxnv>

13 Patrick Gathara, "Western Media Failures Say more about the West than Gaza," Aljazeera, 25/10/2023, accessed on 31/10/2023, at: <https://n9.cl/4c9pn>

الأميركية دارت حول إطار المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة في منطقة بالغة الخطورة، وإطار الجيران المتناحرين، وإطار التعنت العربي أو المتعصبين العرب العازمين على تدمير «دولة» إسرائيل، وإطار التحرير المزدوج أو التسوية العادلة للطرفين. ووجدت دراسة وليام غامسون<sup>14</sup> أن إطار المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة وإطار الجيران المتناحرين هما أكثر الأطر شيوعاً في تغطية وسائل الإعلام الأميركية. وفي عام 2001، ذهبت دراسة أخرى، حاولت الكشف عن تأثير أحداث المدن الأميركية في الحادي عشر من سبتمبر في الأطر التي تستخدمها صحيفة **نيويورك تايمز** في افتتاحياتها حول الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، إلى أن إطار المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة بقي هو المهيمن على اتجاهات الصحيفة مع ظهور تأطير البحث عن الحل والتسوية في ضوء الاستراتيجية الأميركية في الحرب على الإرهاب<sup>15</sup>. وفي عام 2007، أثبتت دراسة جون ميرشايمر وستيفن والت<sup>16</sup> أن التغطية الإعلامية الأميركية تميل إلى الانحياز بشدة لصالح إسرائيل، وبخاصة عند مقارنتها بالتغطية الإخبارية في الديمقراطيات الأخرى.

## ثالثاً: الحرب في عصر ما بعد الحقيقة

أثبتت الأدلة بعد أيام من اندلاع الحرب أن إسرائيل نفذت منذ الساعات الأولى لهجوم حماس حملة تضليل دعائية وقعت العديد من وسائل الغربية في فخها. وتعد هذه الحملة مثيرةً للدهشة بالنظر إلى المبالغات الكبيرة في وصف ما جرى في الهجوم الفلسطيني، والاستثمار الكبير في البيئة الإخبارية الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي واستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي والتزييف العميق في أكثر من واقعة. وقد تراجعت بعض وسائل الإعلام الغربية عن الاعتماد على الرواية الإسرائيلية؛ فمع تكشف الحقائق أخذت نحو الحد من التحيز إلى صالح الرواية الإسرائيلية، لكن معظم وسائل الإعلام الغربية الرئيسة لم تطرح السؤال الأساسي: ما سبب هجوم 7 تشرين الأول / أكتوبر؟ وهو الأمر الذي ذهب إليه الصحفي البريطاني هاري فير Harry Fear، مخرج الفيلم الوثائقي «غزة لا تزال على قيد الحياة»، عندما قال إن «وسائل الإعلام الغربية ركزت على معلومات غير مؤكدة عن المدنيين الإسرائيليين، بينما أهملت معاناة المدنيين الفلسطينيين، وبخاصة الأطفال الذين استشهدوا على مر السنين»<sup>17</sup>. إن تحيز وسائل الإعلام الغربية الرئيسة إلى إسرائيل لا يعكس بدقة الانقسامات الفعلية في الرأي العام الغربي. هناك مجموعات ديموغرافية مهمة تضم الشباب والمهاجرين والحركات الاجتماعية التقدمية تتعاطف على نحو متزايد مع القضية الفلسطينية؛ ما يجعل البيئة الإعلامية الرقمية هشة ومعقدة ومفتوحة وتنطوي على فرص للجميع نسبياً.

تجاوزت إسرائيل قواعد السلوك مع الصحفيين في أوقات الحرب ومناطق الصراع، وذهبت رفقة مؤيديها إلى مرحلة جديدة من التضليل الإعلامي في مهاجمة وسائل الإعلام التي تفتح المجال أمام أصوات قريبة إلى رواية مختلفة، واستهداف الصحفيين والاعتداء على حقهم في الحياة؛ فحتى 28 تشرين الأول / أكتوبر، بلغ عدد الصحفيين الذين قتلوا بالنيران الإسرائيلية في غزة 32 صحافياً، بحسب وزارة الإعلام الفلسطينية، كما استُهدفت أسر الصحفيين بالقتل الجماعي، مثلما حدث مع وائل الدحدوح، مراسل قناة الجزيرة في غزة.

14 William Gamson, *Talking Politics* (New York: Cambridge University Press, 1992).

15 Susan Dente Ross, "Framing of the Palestinian-Israeli Conflict in Thirteen Months of New York Times Editorials Surrounding the Attack of September 11, 2001," *Conflict & Communication Online*, vol. 2, no. 2 (2003).

16 John J. Mearsheimer & Stephen M. Walt, *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy* (New York: Farrar, Straus & Giroux, 2007).

17 Gulcin Kazan Doger, "British Journalist Accuses Western Media of Bias in Reporting on Israel-Palestine Conflict," *AA*, 13/10/2023, accessed on 31/10/2023, at: <https://n9.cl/0rpw2>

مارست وسائل إعلام غربية سلوكًا غير مألوف في محاسبة صحفيين على مواقفهم من هذه الحرب؛ فقد طردت قناة **إم إس إن بي سي** *MSNBC* ثلاثة مذيعين مسلمين بارزين، ورفضت صحيفة **الغارديان** تجديد عقد رسام الكاريكاتير المخضرم ستيف بيل *Steven Bell*، بعد سحب رسمه الذي يظهر فيه نتنياهو. وشهدت الخدمة العربية في محطة **بي بي سي** مضايقات متعددة للصحفيين؛ مثل توقيف ستة من الصحفيين العرب عن العمل بفعل تحريض من الموقع الإلكتروني «كاميرا»، المتخصص بأداء وسائل الإعلام والقريب من الرواية الإسرائيلية، بعد نشر هؤلاء منشورات شخصية على شبكات التواصل الاجتماعي تتعاطف مع الفلسطينيين.

إن البيئة الرقمية والتحولت في طريقة تعاطي الجمهور الجديد مع وسائل الإعلام تجعل الإعلام الإخباري في عصر ما بعد الحقيقة مفتوحًا على احتمالات متعددة؛ فهي بيئة هشة قابلة للتشكّل بسرعة. فكما قادت هذه البيئة الإعلامية في المرحلة الأولى من الحرب إلى سيل من الأخبار الكاذبة ومحاولة تصنيع إجماع عالمي مساند للرواية الإسرائيلية، فإن احتمالات أخرى مغايرة قابلة للتحقق وبسرعة تفوق التوقعات مع استمرار جرائم الإبادة والتدمير الممنهج اللذين ترتكبهما إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني.